

جريدة الجمهورية 2012/5/5

" النأي بالنفس " مفهوم علمي جديد .

يوم حاول البعض طرح فكرة الأحزاب الوسطية في فترة ما قبل الإنتخابات النيابية اللبنانية للعام 2009 ، أجابه البعض الآخر لا يمكن لنا أن نقف في الوسط بين الخير والشر وبين المستقيمين والفاستدين ، وبين هادري المال العام والمحافظين عليه ، وبين الإصلاحيين التغييريين والتقليديين البائدين .

يومها وعلى الرغم من صحة طرح الوسطية في الحياة السياسية التي من شأنها أن تمنع الإنقسام الحاد بين الأحزاب السياسية المتصارعة من الوصول إلى الحكم حيث لا بد للأكثرية كي تصبح أكثرية فعلاً أن تتفق مع الأحزاب الوسطية .

وقد وصف بعض الفقهاء في القانون الدستوري والسياسي منهم

Maurice Duverger و Jean Giquel بأن الوسطية تشكل المستنقع Le Marais أو السهل La plaine التي تفرض على أي كتلة برلمانية طامحة لحصد الأغلبية النيابية أن تمر بهذا المستنقع أو السهل ، وهذا ما حصل في لبنان يوم قررت 8 آذار أن تحكم لوحدها مع فارق بسيط أنها فرضت على الوسطيين بأن ينضموا إليها قسراً شاؤوا أم أبوا .

لم تعجب الوسطية قبل إنتخابات 2009 هؤلاء وهم اليوم يُكرهونها على التعايش معهم للحفاظ على أكثريتهم ، وبالتالي دفعت بهم المصلحة السياسية السلطوية إلى القبول بما رفضوه بالأمس القريب ، وهم لم يكتفوا بذلك كما سنبين تباعاً .

ويوم طرح حزب الكتائب في الآونة الأخيرة حياد لبنان اعتبر البعض الآخر أن هذا الطرح هرطقة لا يمكن القبول به .

لكن الوسطية كمفهوم علمي يزواج محطات معينة في الحياة السياسية لبعض الأنظمة الديمقراطية المرفوضة سابقاً بالمطلق من قبل التغييريين ، والمقبولة حالياً من قبل هؤلاء لمصالح سلطوية . وحياد لبنان بمفهومه العلمي أيضاً المعتبر هرطقة من قبل البعض الآخر بات لهما (الوسطية والحياد) إسماً آخر يجمع كل سلبيات العمل السياسي الديمقراطي ويختصره بما يسمى " النأي بالنفس " . هذا المفهوم الذي شعرت معه بأن القيمة الإنسانية تختفي بظله ، وأن الوقوف بين الخير والشر بات أمراً مستحيلاً وأن الإمتناع عن إحقاق العدل وإعاقه عمل التحقيقات التي تجريها الضابطة العدلية ، وإهمال النازحين من الوجهة الإنسانية وارتفاع معدل الهدر والفساد وتراجع الخدمات ... كلها من فوائد " النأي بالنفس " وقد طبقت أيضاً هذه السياسة بحق إسرائيل وسوريا معاً منذ العام 2006 فالعدوان الإسرائيلي الحاصل جواً وبحراً وأحياناً براً وكذلك العدوان السوري قصفاً وخطفاً وقتلاً وعدواناً يطبق عليه حالياً مفهوم " النأي بالنفس " .

فيا نواب الأمة إذا وجدتم أن الحكومة مقصرة أو مسؤولة إنؤا بأنفسكم عنها ، وأيها المواطنين إذا وجدتم تجار مواد غذائية فاسدة أو موظفين إداريين فاسدين وإذا وجدتم مقتولاً أو مصاباً في طريقكم أو يتيماً مشرداً تائهاً إنؤوا بأنفسكم عنهم ، ألم ينطق بهذه الثقافة وزير خارجيتنا ؟ ألم يشرح الرئيس بري فوائدها التي يستفيد منها 8 و 14 آذار

؟؟؟ لكن هذه البدعة لم تطبق يوم أرسل حزب الله مجموعة لبنانية للقيام بأعمال إرهابية في مصر ، وقد أصدر بها القضاء المصري أحكامه واعتبر هذا التصرف خرقاً للسيادة المصرية وتدخل سافر في شؤونها ، كما لم تطبق هذه البدعة على الباخرة المحملة بالسلح المسماة لطف الله فجاء موقف الدولة داعماً للنظام في مواجهة الشعب السوري ، فلو كانت هذه الباخرة موجهة للنظام هل كان للجيش أن يصادر السلح المنقول على متنها ؟؟؟

وعليه ربما نحن لسنا أمام بدعة بل نعمة للبنان وللإنسان والمواطن على حدٍ سواء ، هكذا يسمع المواطن اليوم من السياسيين شيئاً وغداً نقبضه إن لم نقل الشيء ونقبضه بين الساعة والساعة .

أما مصدر هذا المفهوم الجديد فطبعاً ليس سويسرا الدولة الحيادية إنما النظام السوري ومن خلفه وبجانبه أو أمامه ، إنه نظام الممانعة أي نظام الديمقراطية وحقوق الإنسان والنظام الذي حارب الفساد السياسي والإداري والأمني في كل الدول التي طالتنا يده ، وكان لبنان من بين المستفيدين من هذه الثقافة ولم يزل ينعم بها ، فيا أيها المتقفون وعشاق الحرية تيقظوا قبل أن تغرقوا في سياسات لا طائل منها واستفيدوا قدر الإمكان من وصفة " النأي بالنفس " قبل أن تصل رياح التغيير الحقيقية التي هبت من لبنان وإليه تعود ، عندها لن يعود هناك من فائدة لهذه الوصفة وسيصبح هذا المفهوم كالمفاهيم التي خلفها نظام الوصاية من مثل " وحدة المسار والمصير " و " شعب واحد في دولتين " ، وإذا طالت فترة التلطي خلف هذه الشعارات فإن فترة التلطي بسياسة النأي بالنفس لن تطول والله لن تطول .

المحامي الدكتور أنطوان أ. سعد